قراءة جديدة لفلسفة هيراقليطس (ت/ ق٥ق.م)، في ضوء تصور الحداثة السائلة عند زيجمونت باومان (ت/٢٠١٧)

" دراسة تحليلية نقدية مقارنة في الأصول اليونانية للحداثة "

دكتورة / ناهد إبراهيم محمد محمد

مدرس الفلسفة اليونانية

كلية التربية ـ جامعة الإسكندرية

قراءة جديدة لفلسفة هيراقليطس (ت/ ق٥ق.م)، في ضوء تصور الحداثة السائلة عند زيجمونت باومان (ت/٢٠١٧)

" دراسة تحليلية نقدية مقارنة في الأصول اليونانية للحداثة "

لقد استطاع الموقف الفلسفي، في جميع الحقب الزمنية، أن يحلل الطبيعة البشرية في علاقاتها الثقافية، خاصة ما يتعلق بقضايا الذات، والحداثة، والأيديولوجيا، وسائر الموضوعات التي تلامس الواقع الاجتماعي، كالهوية، والانتماء، والتقنية، وغيرها . وإذا كان هناك من رابط بين كل هذه الموضوعات، فهو همّ التساؤل عن سمات الحداثة Modernity الفكرية، والاجتماعية، ومحاولات الاقتراب من هذا الواقع الجديد بمنظور شمولي . إلا أنه من العسير تطويق معني الحداثة، خاصة إذا حاولنا الإجابة عن السؤال التالي : هل انتقلنا بالفعل من عصر الحداثة، إلي عصر ما بعد الحداثة ؟ وهل يوجد، أصلاً، ما يُسمي بعصر (ما بعد الحداثة) ؟ أم أننا انتقلنا بعد الحداثة إلي مرحلة أخري، تُسمي: (**الحداثة السائلة**) ؟ لقد أجاب الفيلسوف، وعالم الاجتماع البولندي **زيجمونت باومان** Zygmunt Bauman (١٩٢٥ - ٢٠١٧) عن هذا التساؤل بقوله : **"إن ما كنا نسميه (خطأ) ما بعد الحداثة، وما قررت أن أسميه بوضوح (الحداثة السائلة) إنما هو الإيمان المتناهي بأن التغير هو الثبات الوحيد، وأن اللايقين هو اليقين الوحيد"** فأنماط الحياة الحديثة الحالية، تتشابه، في طبيعتها الهشة العابرة، وقابليتها للتغير الدائم . ومن ثم، فإن باومان يقترب من الحداثة في صورتها الحياتية، التي تعبر عن عالم (**السيلان المستمر**)، و(**الصيرورة الدائمة**). إلا أن "باومان" لم يكن أول من قال (بالسيولة)؛ فمن المعروف أن الفكرة الرئيسة في فلسفة الفيلسوف اليوناني **هيراقليطس** Heraclitus (ق٥ ق.م)، القول (بالسيلان)، وهو الإيمان بالتغير كقانون ثابت للوجود بأسره.

- **إشكالية البحث :** تكمن إشكالية البحث، بصورة رئيسة، في إعادة قراءة فلسفة **"هيراقليطس"** بصورة معاصرة، في ضوء تصور **"زيجمونت باومان"** للحداثة السائلة، بحيث يمكننا الوقوف علي أهم الأفكار الفلسفية التي تضمنها النص اليوناني، والتي تعد أصلاً، رئيساً، من الأصول اليونانية للحداثة .

- **المنهج المستخدم :** استخدمت في إعداد هذا البحث بعض مناهج البحث المختلفة: **كالمنهج التاريخي**؛ وذلك لتتبع فكرة الصيرورة عند هيراقليطس، **والمنهج التحليلي**؛ وذلك للوقوف علي تحليل النصوص الفلسفية، لكل من هيراقليطس، وباومان. **والمنهجين**: **النقدي، والمقارن**؛ وذلك للوقوف علي أوجه الاختلاف والتقارب بين تصور كل من هيراقليطس، وباومان لفكرة السيولة .

مقدمة (*):

إن الفكر الفلسفي نسيج واحد متصل؛ كل لا يتجزأ، ترتبط حلقاته ارتباطاً وثيقاً، ويتطور من الماضي إلي الحاضر، بحيث لا يمكننا فهم المذاهب الحديثة والمعاصرة، فهماً جيداً، إلا حين نردها إلي أصولها الفلسفية القديمة التي نشأت عنها . ويمكن القول: إن عودة الأفكار الفلسفية إلي الظهور في تاريخ الفكر الغربي، بقراءة جديدة، لا تتعارض مع كون الفلسفة تتطور مع الزمن، ولابد أن يصيبها التغير، لكن لا يتعين عليها أن تقطع كل صلة لها بالماضي؛ فهي في تحليلاتها، واستنباطاتها، تظل برهاناً علي القيمة الدائمة للفكر الواضح الذي يهتدي بكل من المنطق، والوقائع معاً . ولسنا في حاجة إلي القول بإن **الفلسفة اليونانية** هي الأصل الفلسفي الأول الذي نبعت منه الفلسفة؛ فأغلب المشكلات الفلسفية، الحديثة والمعاصرة، تعترف بكونها مدينة للعقلية الإغريقية بالأكثرية الغالبة من أفكارها التي تجدد الاهتمام بها اليوم .

فقد استطاع الموقف الفلسفي، في جميع الحقب الزمنية، أن يحلل الطبيعة البشرية في علاقاتها الثقافية، خاصة ما يتعلق بقضايا الذات، والحداثة، والأيديولوجيا، وسائر الموضوعات التي تلامس الواقع الاجتماعي، كالهوية، والانتماء، والتقنية، وغيرها . وإذا كان هناك من رابط بين كل هذه الموضوعات، فهو همّ التساؤل عن سمات الحداثة Modernity ([1]) الفكرية،

(*) تم إلقاء هذا البحث في المؤتمر الدولي الأول (رؤي معاصرة في العلوم الاجتماعية والإنسانية والتربوية)، قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس، في الفترة ما بين ٢٤-٢٦ إبريل ٢٠١٨ .

[1] نشأ الوعي بالحداثة في العصر الوسيط، وكان ذلك بالمصطلح اللاتيني Saeclum Modernorum، أما الصفة Modernus فقد ظهرت في القرن السادس عشر، وترد إلي لفظ Mode أي المعيار أو القياس؛ فالحداثة تشير – في التصور الواسع – إلي التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، التي ترسخت في أوروبا منذ القرن السادس عشر فصاعداً. وقد نشأ اللفظ، نفسه، في القرن التاسع عشر علي يد الأديب الفرنسي فرنسوا رينيه شاتوبريان (١٨٤٩) . فجدير بالذكر، إن لفظ (حديث)، قد تم استخدامه بكثرة منذ القرن العاشر الميلادي، في المساجلات الدينية والفلسفية، ويكاد يُستعمل، دوما، بمعني ضمني؛ إما لُعَبِيّ (انفتاح، وحرية فكرية، معرفة أحداث الوقائع المُستكشفة، أو أحداث الأفكار المُصاغة، غياب الكسل والرتابة)، وإما عامي (انشغال بالدرجة، حب التغيير من أجل التغيير، ميل إلي الاهتمام بالانطباعات الراهنة، بلا حكم علي الماضي، وبلا تفكير فيه) . ويُفرق، بالنسبة إلي الاستعمال الراهن، بين حداثة صحيحة (تتوافق مع التشكيلات الفكرية الحقيقة) وبين حداثة سطحية (جهل التراث، حب الجديد مهما يكن، الاضطراب، والمطالبة بالمزيد دائما).

– انظر : مراد وهبة :المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة،٢٠٠٧،(مادة/ حداثة Modernity)، ص٢٦٩.

والاجتماعية، ومحاولات الاقتراب من هذا الواقع الجديد بمنظور شمولي، ومحاولة فهمه، واستيعاب مكوناته ([٢]) .

إلا أنه من العسير تطويق معني الحداثة، وضبط كل مكوناتها، خاصة إذا حاولنا الإجابة عن السؤال التالي : هل انتقلنا بالفعل من عصر الحداثة، إلي عصر ما بعد الحداثة ؟ وهل يوجد، أصلاً، ما يُسمي بعصر (ما بعد الحداثة) ؟ أم أننا انتقلنا بعد الحداثة إلي مرحلة أخري، تُسمي: **(الحداثة السائلة) ؟**

لقد أجاب الفيلسوف، وعالم الاجتماع البولندي **زيجمونت باومان** Zygmunt Bauman (١٩٢٥ - ٢٠١٧) عن هذا التساؤل بقوله : **"إن ما كنا نسميه (خطأ) ما بعد الحداثة، وما قررت أن أسميه بوضوح (الحداثة السائلة) إنما هو الإيمان المتناهي بأن التغير هو الثبات الوحيد، وأن اللايقين هو اليقين الوحيد؛ إذ كانت الحداثة، في المائة عام الماضية، تعني محاولة الوصول إلي حالة نهائية من الكمال، أما الآن، فإن الحداثة تعني عملية تحسين وتقدم لا حد لها، من دون وجود (حالة نهائية في الأفق)، ومن دون وجود رغبة في هذه الحالة"** ([٣]) فأنماط الحياة الحديثة الحالية، ربما تختلف في بضع نواحٍ، ولكنها تتشابه، تحديداً، في طبيعتها الهشة العابرة، وقابليتها للتغير الدائم ([٤]) ومن ثم، فإن باومان يقترب من الحداثة في صورتها الحياتية، التي تعبر، بصورة أو بأخري، عن عالم (**السيلان المستمر**)([٥])، و(**الصيرورة**

– أيضاً : لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ٢٠٠١، (مادة/ حديث أو عصري Moderne)، ص ٨٢٢ .

– بامبرا.جيرميندر.ك : إعادة التفكير في الحداثة (نزعة ما بعد الاستعمار والخيال السوسيولوجي)، ترجمة: ابتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦، ص ١٢ .

[٢] محمد سبيلا : مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٩ .

[٣] باومان . زيجمونت : الحداثة السائلة، ترجمة : حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٦ ، ص ٢٧ .

[٤] المصدر السابق، ص، ص / ١١ ، ٢٦ .

[٥] تدافع الأجزاء، سواء كانت منفصلة في الحقيقة، ومتواصلة في الحس، أو كانت متواصلة في الحقيقة.

– انظر : جميل صليبا : المعجم الفلسفي، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، (مادة/ السيّال)، ص٦٨١ .

الدائمة)([٦]) إلا أن "باومان" لم يكن أول من قال (بالسيولة)، أو (الصيرورة الدائمة)؛ فمن المعروف أن أول ملمح في فلسفة الفيلسوف اليوناني **هيراقليطس** Heraclitus (ق٥ ق.م)([٧])، القول (بالسيلان)، وهو الإيمان بالتغير كقانون ثابت للوجود بأسره .

---

[٦] التغير في ذاته، من حيث أنه انتقال من حال إلي أخري، ويقابل الثبوت أو السكون .

– انظر : إبراهيم مدكور : المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ، ١٩٨٣، (مادة/ صيرورة Becoming)، ص ١٠٨ .

[٧] ولد في أفيسوس Ephesus – مدينة يونانية علي شاطئ آسيا الصغري – حولي ٥٣٥ ق.م أو ٥٤٠ق.م، قبل سقراط ، وقد ازدهر إبان الفترة الأوليمبية التاسعة والستين (أي إبان الفترة ٥٠٤ – ٥٠٠ ق.م)، وكان= =بطبعه مفطوراً علي نبل المشاعر أكثر من أي شخص آخر، كما كان متعجرفاً، ومتكبراً؛ ناقدا للشعراء والحكماء بصورة تصل إلي الغلو والإسراف. وكان من حداثة سنه مثيراً للدهشة والإعجاب؛ فعندما غدا شاباً دأب علي أن يعلن أنه لا يعرف شيئاً، ومع ذلك حين بلغ سن النضج، أعلن أنه يعرف كل شئ . ولم يتتلمذ علي يد أحد من الأساتذة، ولذا فقد قال، بناء علي ذلك، إنه بحث في أعماق نفسه، وتعلم كل شئ . أما بالنسبة للكتاب الذي نُسب إليه تأليفه، فهو عبارة عن بحث متصل يحمل عنوان:(عن الفيزيقا)، وقد انقسم إلي ثلاثة أجزاء: أولها عن الكون، والثاني عن السياسة، والثالث عن اللآهوت . وقد اشتمل هذا العمل علي أكثر من مائه جملة، ما بين الغموض تارة، والسخرية تارة أخري. وقد أودع هيراقليطس هذا الكتاب في معبد الربة أرتيميس في أفيسوس، وقصد تدوينه بطريقة غامضة؛ حتي لا يتمكن من قرائته، أو الاقتراب منه سوي الراسخين في العلم وحدهم (فهو لا يكتب للحمقي علي حد قوله) وقد قال عنه (تيمون) في قصائده الهجائية الساخرة : " **وبرز من بينهم هيراقليطس الذي يتحدث بالألغاز، ويصيح مثل طائر الوقواق، ويكيل السباب والإهانات للدهماء** " .

– انظر : اللآئرتي. ديوجينس: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: محمد حمدي إبراهيم، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤، ص ٩٩ – ١٠٣ .

- Long.(A.A) : Heraclitus (c.540–c.480 BC), Published in : Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London and NewYork , 1998, P.3478.

- The Concise Encyclopedia of Western Philosophy, Edited by: Ree.J and Urmson.J.o, Routledge, London and NewYork, 3th.ed, 2005, (Art: Heraclitus), PP.158/159.

- Hegel.G.W : Lectures on The History Of Philosophy, Translated from German by: Haldane.E.S, V.1, Kegan Paul, Trench, Trubner and CO., LTD., 1892, PP.280/282.

- **إشكالية البحث :**

تكمن إشكالية البحث، بصورة رئيسة، في إعادة قراءة فلسفة **"هيراقليطس"** بصورة معاصرة، في ضوء تصور **"زيجمونت باومان"** للحداثة السائلة، بحيث يمكننا الوقوف علي أهم الأفكار الفلسفية التي تضمنها النص اليوناني، والتي تعد أصلاً، رئيساً، من الأصول اليونانية للحداثة .

ـ أما عن تساؤلات البحث، فيمكن إجمالها فيما يلي :

١ـ كيف استطاع هيراقليطس، الفيلسوف الغامض في القرن الخامس قبل الميلادي، أن يقدم تصوراً مستقبلياً لفكرة (الصيرورة) في واقعنا المعاصر؟

٢ـ لماذا يعد هيراقليطس الجدّ الأول لنظريات التغير الاجتماعي، الحديثة والمعاصرة ؟ وكيف تعبر فلسفته، في مضمونها، عن مبادئ العولمة ؟

٣ـ ما التصور الهيراقليطي لفكرة (اللوغوس)؟ وكيف عبر هذا التصور، في مضمونه، عن واقع الإنسان في عصرنا الحالي ؟

٤ـ ما أوجه الاتفاق بين هيراقليطس، وباومان، رغم اختلاف عصريهما ؟ وكيف تجلّت فكرة (الصراع)، كفكرة فلسفية رئيسة، في فكر كل منهما ؟

٥ـ ما تصور باومان (للحداثة السائلة)؟ ولماذا يعد هذا التصور صياغة معاصرة للفكر الهيراقليطي القديم ؟

- **المنهج المستخدم :**

استخدمت في إعداد هذا البحث بعض مناهج البحث المختلفة: **كالمنهج التاريخي؛** وذلك لتتبع فكرة الصيرورة عند هيراقليطس، **والمنهج التحليلي؛** وذلك للوقوف علي تحليل النصوص الفلسفية، لكل من هيراقليطس، وباومان، واستنباط ما يمكن استنباطه منها. **والمنهجين: النقدي،**

– Stace.W.T: A Critical History of Greek Philosophy, Robert Maclehose and CO. LTD, London, 1920, P.30.

والمقارن؛ وذلك للوقوف علي أوجه الاختلاف والتقارب بين تصور كل من هيراقليطس، وباومان لفكرة السيولة .

أولاً / هيراقليطس : السيلان المستمر

بدأ القرن الخامس قبل الميلاد بالنقيضين الكبيرين للفلسفة ما قبل سقراط؛ وهما هيراقليطس، وبارمنيدس Parmenides (٥٤٠ ق.م - ؟)، وقد مضي التناقض بينهما عميقاً جدا؛ ممتداً إلي ما وراء محتوي فلسفتيهما، حتي طريقتهما في التفكير، وميراثهما الفلسفي، والكيفية التي أختارا أن يعبرا بها عن نفسيهما . فلقد كانت فلسفة بارمنيدس رد فعل معارض لموقف هيراقليطس؛ وذلك لقولها بالثبات بدلاً من التغير، والوحدة بدلاً من الكثرة، لكن طبيعة المشاكل التي يعرض لها هيراقليطس عن الوجود، والتغير، جعلته يقترب، إلي حد كبير، من الطابع العام للمدرسة الإيلية([٨]) كما يقترب، في الوقت نفسه، من المدرسة الأيونية؛ لقوله إن النار هي المقوم المادي المحدد للوجود ([٩]) .

---

[٨] عبد الرحمن بدوي: ربيع الفكر اليوناني، مركز عبد الرحمن بدوي للإبداع، القاهرة، ٢٠١٠، ص١٨٥ .

– أيضاً : محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة اليونانية)، دار الجامعات المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٣، ص٦٥ .

– آرمسترونج . أ.هـ : مدخل إلي الفلسفة القديمة، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي الغربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٩ .

[٩] يمكن القول، حسماً للخلاف الدائر بين المؤرخين حول فلسفة هيراقليطس، إنه أيوني باعتبار، وإيلي باعتبار آخر؛ فنزعة الأيونية تتجلي في قوله بالتغير المستمر، والصيرورة، وتفسيره للوجود بمقوم مادي واحد، وقوله بصراع الأضداد وائتلافها، أما تحوله عن تلك النزعة الأيونية المادية، فيتضح في قوله بفكرة (**اللوغوس Logos**) وأنه الحقيقة الموضوعية التي تسمو علي الناس. ومن ثم، اعتبر بمثابة المُلهم أو المتصوف، وإن كانت صوفيته تلك من نوع خاص، فضلاً عن إيمانه بالمعرفة العقلية، وأنها المعرفة الصحيحة، بينما معرفة الحواس ليست معرفة حقيقية علي الإطلاق، بل هي ظن، لا يؤدي إلي اليقين .

– انظر : حربي عباس عطيتو : ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ص ٩٨/٩٩.

يري هيراقليطس أن العالم في تغير مستمر، ولا يوجد شئ باق علي الإطلاق؛ فالقانون العام الذي ينظم الوجود هو التغير، وعدم الثبات، والتجدد المستمر؛ فكل شئ في سيلان دائم، ونحن موجودون، وغير موجودين، وكما يوجد الواحد عن الأشياء جميعاً، كذلك الأشياء تصدر عن الواحد، والإله هو النهار والليل، والصيف والشتاء، والسلام والحرب . فالفكرة الرئيسة عند هيراقليطس هي فكرة الحركة؛ ومبدأ وحدة الأضداد، والتوازن البنيوي الذي يحكم هذه الحركة وهذا التغير؛ فكل شئ في صيرورة، حتي الجبال، والأنهار؛ تخضع للحركة والصيرورة؛ فهي تظهر وتختفي، تتجمع ثم تفترق، في سيلان دائم يتم فيه تبادل الأضداد؛ فجوهر الوجود، عنده، هو الحركة والتغير المتواصلين؛ فالآن هو غير الآن، الزمن يوجد ولا يوجد، اليوم هو البارحة، والبارحة كانت غداً، ولا يمكن أن تُعاش اللحظة مرتين؛ إذا ما أُخذت من ناحية الزمن؛ فكل شئ يتغير، يمر، يختفي دون عودة ([١٠]) فيقول هيراقليطس ([١١]) :

" كل شئ ينساب ولا شئ يسكن، كل شئ يتغير، ولا شئ يدوم علي الثبات " .

" الأشياء الباردة تصير حارة، والحارة تصير باردة، ويجف الرطب، ويتحول الجاف إلي رطب" .

" إنك لا تستطيع النزول إلي النهر الواحد مرتين؛ لأن مياهاً جديدة تغمرك باستمرار ".

" الزمن طفل يلعب بالنرد، والقوة الملكية قوة الطفل " .

" إننا نخوض، ولا نخوض في الأنهار نفسها " .

" حتي شراب الشعير يفسد إذا لم يتحرك " .

" إن الأشياء تجد راحتها في التغيير " .

---

[١٠] حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص٩٩ .

– أيضاً : محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ص ٦٦/٦٧.

– محمد الخطيب : الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩ ، ص١٠٦ .

[١١] نقلاً عن : محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ص ٦٧/٦٨ .

– أيضاً:أحمد فؤاد الأهواني:فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، ١٩٤٥،ص١٠٦.

– عزت قرني : الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون، ذات السلاسل، الكويت ، ١٩٩٣، ص ٤٧ .

" إننا نكون، ولا نكون " ([١٢]) .

فالأضداد يحدد احدها الآخر من الداخل؛ فكم من الناس ينخدع أمام الأشياء المرئية، دون أن يشعروا بهذا السيلان والتغير. إلا أن عملية التغير هذه، في حد ذاتها، تطور؛ فكل شئ يتجاوز ذاته إلي الأمام، ولا يبقي كما كان، والطبيعة تدعو الأشياء لفعل هذا؛ فالعالم مجموعة أشياء ذات وجود متحرك ([١٣]) فكل موجود هو كذا، وليس كذا، في الوقت نفسه؛ فالشئ الواحد، نفسه، لا يستقر لحظة واحدة علي حال، إنما يتقلب باستمرار، ومن حال إلي حال؛ فكل شئ سيّال؛ فالشئ يكون حاراً، ويكون بارداً، ثم حاراً من جديد، والرطب يكون يابساً، والشمس تفني كل يوم، وتتجدد باستمرار(فليست الشمس التي تغرب اليوم هي الشمس التي تشرق غداً، إنها شمس جديدة كل يوم؛ فما تفقده بالنهار، تتلقاه في الليل نتيجة الأبخرة المتصاعدة من البحر) وهكذا في جميع الأشياء: لا تثبت لها صفة واحدة ثباتاً دائماً، أو علي الأقل ثباتاً لمدة غير قصيرة . فالصيرورة وحدها موجودة، والثبات والذاتية ليست إلا أوهاماً؛ فالوهم يجعلنا نعتقد أن الموجة المارة فوق

---

[١٢] تشير هذه العبارة ليس إلي التغير الدائم فحسب؛ بل كذلك إلي وجود مظهر، وحقيقة؛ فالأول هو الثبات، بينما الحقيقة هي التغير المستمر. وهناك عبارة لسارتر (ت/١٩٨٠) تقترب، كثيراً، في معناها من جملة هيراقليطس، يقول فيها : " **إنني ما لست أنا، وأنا لست ما أنا** " فالإنسان عند سارتر؛ ليس هو ما عليه؛ لأنه يتجاوز ماضيه بألا يكون إياه في الحاضر، وفي الوقت نفسه، الإنسان هو ما ليس عليه، بمعني أنه مستقبل غير مُحدد في الحاضر، وعلي هذا الأساس، فإن الحاضر هو عدم الوجود المحض، ولا يكتسب معني إلا علي ضوء الماضي الميت، أو السلوك في المستقبل القادم . ومن ثم، فالإنسان لا يستطيع أن (يكون) في حالة محددة نهائية؛ عليه أن يختار باستمرار، وأن يتخذ قرارات ليعيد تأكيد الأهداف والمشاريع القديمة، أو يؤكد الأهداف والمشاريع الجديدة. إن الإنسان هنا، مشغول باستمرار بمهمة تشييد الذات، وهي مهمة لا تكتمل أبداً؛ فهي لا تنتهي إلا بالموت؛ أما أثناء حياته، فهو دائماً في حالة عدم تعين .

– انظر : كرانستون. موريس : سارتر بين الفلسفة والأدب، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ص ص ٦٤/٦٥ .

– أيضاً : عزت قرني، مرجع سابق، ص ٤٨ .

[١٣] محمد الخطيب، مرجع سابق، ص ١٠٦ .

سطح المياه تظل هي نفسها طول الوقت، ولكننا نجد أن الماء، الذي تتكون منه الموجة، يتغير من لحظة إلي أخري، ولا يبقي ثابتاً منه إلا الشكل ([١٤]) .

فالصيرورة لها شكلان، هما: قيام الأشياء وانقضاؤها؛ فالإنسان يولد (هذا هو انبعاثه)، وهو يموت (وهذا هو انحلاله)، وبين مولده وموته توجد تغيرات وسيطة، فهو ينمو في عمره، وحكمته، ثم يغدو شعره رمادياً، وكذلك ورقة الشجر، لا تكتفي بمجرد المجئ إلي الوجود، ثم الانقضاء؛ فهي تتغير في الشكل، والقالب، واللون، الذي يستحيل من الأخضر الفاتح إلي أخضر غامق، ومنه إلي الأصفر. ولكن لا يوجد أي شئ في كل هذا سوي الانبعاث والتحلل، لا للشئ نفسه، بل لصفاته؛ فالانبعاث هو استحالة اللاوجود إلي الوجود، والتحلل هو استحالة اللاوجود إلي الوجود، والصيرورة هي تحول أحدهما إلي الآخر ([١٥]) .

فالوجود موت يتلاشي، والموت وجود يزول، وهذا الموت ليس غريباً عن الحياة، وهو لا يأتيها من الخارج؛ إنه جزء منها، وعنصر لا يمكن فصله عنها؛ فكل شئ يتغير من ضد إلي ضد، ولابد، إذن، أن يكون حائزاً من قبل علي الشئ الآخر لكي يمكن لهذا التغير أن يتم ([١٦])؛

---

[14] Hankinson.R.J : Cause and Explanation in Ancient Greek Thought, University of Texas, Austin, 1997, P.30.

– محمد عبد الرحمن مرحباً : تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتي المرحلة الهللينستية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٠٤ .

– ستيس. وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص٧١ .

– عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ١٨٦ .

[١٥] ستيس. وولتر، مرجع سابق، ص ٧١ .

[١٦] يُعتقد، بصفة عامة، أن الموت يرجع إلي علل خارجية مثل الحادثة أو المرض، فطالما أن الحياة تدوم، فأنها تكون علي نحو ما تكون عليه، وتظل علي ما هي عليه، أي أن الحياة غير مختلطة بالموت، وأنها تظل حياة، إلي أن يأتي شئ من الخارج علي شكل علل خارجية ويضع لها النهاية (لذلك يعتقد بعض المفكرين بأنه إذا استطعنا أن نزيل العلل فأننا نستطيع أن نقهر الموت، ومن ثم تصبح الحياة خالدة، أو علي الأقل تستطيل لزمن طويل جداً)، فمما لا شك فيه أن في كل حالة موت نجد أن العلل تسبقه، إلا أن فكرة هيراقليطس تعطينا تفسيراً مختلفاً: فسبب الموت هنا لا يعطينا تبرير حدوث الموت نفسه (السبب هنا يختلف عن التبرير)؛ فنحن نقول أن (أ) سبب حدوث (ب)، إلا أننا لا نقول لماذا تحدث (ب) في الأساس ! فتبرير الشئ يجب تميزه عن علته . ومن

فحقيقة الوجود تقوم علي أساس من توتر الأضداد، وهذا التوتر ينتج عنه **صراع** مستمر يعطينا مشهد الحياة الصاخبة صورة عنه . فكل كائن هو وليد الصراع بين قوتين متناقضتين، لا تهدآن برهة، حتي تعودا إلي التنافر والتنازع، ولا تتنازعان، حتي تعودا إلي الألفة والتوازن والانسجام، وهكذا دواليك، فإنما الوجود كفاح، وتنازع، واصطراع بين الأضداد ([١٧]) .

ثم، فإن تبرير السبب لموت الإنسان، لا نجده في العلل التي تسبب موته . والتبرير هنا، تبعاً لفكر هيراقلطيس، هو أن الحياة بها جرثومة الموت من قبل، وأن الحياة هي موت مسبق بالإمكانية أو القوة، وأن الوجود يحتوي علي اللاوجود؛ فالفناء يدب فينا في كل لحظة . وبالتالي، فإن علة الموت هي مجرد الأداء الآلي، وبهذه الآلية، من خلال مجموعة من العلل أو غيرها، تحدث النهاية المحتمة؛ فالموت جزء من الحياة، والعلاقة بينهما علاقة استمرار، وليست معارضة .

وجدير بالذكر، أن فكرة هيراقليطس عن الموت تتشابه، إلي حد ما، مع فكر الفيلسوف الألماني المعاصر مارتن هايدجر Heidegger (ت/١٩٧٦)؛ فالموت، عنده، ليس حدثاً، أو حالة وفاة، أو نهاية تبلغها (الأنا) بعد أن تقطع عمراً طويلاً، أو قصيراً؛ فالموت ظاهرة من ظواهر الحياة، وهذه الأخيرة هي إسلوب وجود مرتبط بالوجود–في–العالم، فكأن الموت هو إمكانية عدم– الوجود– في العالم، أو إمكانية استحالة كل إمكانية؛ فالانتهاء، الذي نصفه بالموت، لا يعني بلوغ النهاية، بل يعني الوجود من أجل الانتهاء . فالموت إسلوب وجود، أو كينونة يتحملها الإنسان ما بقي كائنا؛ فالموت ليس حدثاً، ولا واقعة، إنما يتغلغل في حياتنا كل لحظة من الميلاد إلي الوفاة، فما أن يأتي الإنسان إلي الحياة، حتي يصبح شيخاً هرماً ناضجاً للموت .

– انظر : ستيس. وولتر، مرجع سابق، ص ٧١ .

– أيضاً : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.م)، ١٩٢٦، ص٢٠.

– عبد الغفار مكاوي: نداء الحقيقة (مع ثلاث نصوص عن الحقيقة لهايدجر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠، ص ص٨٦/٨٧.

– Baloyannis.J.S: The philosophy of Heracletus today (Paper), Published in: Encephalos,V.50, 2013, P.1.

– Betegh.G : On the physical aspect of Heraclitus' psychology (Paper), Published in: Phronesis 52, 2007, PP.228/229.

– Hegel.G.W, Op.Cit, P.283.

[١٧] محمد الخطيب، مرجع سابق، ص ١٠٧ .

فيقول هيراقليطس ([١٨]) :

" ينبغي أن يكون مفهوما أن الحرب حالة عامة، وأن الصراع عدل، وأن كل الأشياء لابد أن تخضع لحتمية الصراع " .

" إن العظام التي تصلها المفاصل، هي كل متحد وغير متحد في وقت واحد، ولكي تكون في اتفاق، لابد أن تخالف، فإن الموافق هو المخالف " .

" بالمرض تظهر الصحة، وبالشر يظهر الخير بجلبه للسرور، وكذلك بالجوع يظهر الشبع، وبالتعب تظهر الراحة " .

ويقول أيضاً **: " أليست النار تحيا بموت الأرض، والهواء يحيا بموت النار، والماء يحيا بموت الهواء، والأرض تحيا بموت الماء، والحيوان يحيا بموت النبات، والإنسان يحيا بموت الاثنين ؟" .**

فكل شئ في الوجود يشتمل علي متعارضين لا يزالان يتصادمان أبداً سرمداً، ومن تصادمهما تقع جميع أحداث العالم، من حياة وموت، وكون وفساد، ونهار وليل، وصيف وشتاء، وسلم وحرب، بل أن جميع الكائنات مدينة لبقائها لنوع من هذا التصادم المنظم المنسجم ([١٩]) فهذا الصراع بين الأضداد يحكمه قانون أزلي، وائتلاف خفي، هو ما يسميه اللوغوس([٢٠])

– أيضاً : محمد عبد الرحمن مرحباً، مرجع سابق، ص ص ١٠٤/ ١٠٥ .

[١٨] محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٧١ .

– أيضاً : يوسف كرم، مرجع سابق، ص١٩.

[١٩] محمد عبد الرحمن مرحباً، مرجع سابق، ص ١٠٤ .

[٢٠] أوضح هيراقليطس أن الصراع بين الأشياء هو الذي يسمح للعالم بأن يوجد، وأن يستمر، ولهذا هاجم هوميروس بقوله : " **أخطأ هوميروس في قوله: لو أن التنازع زال بين الآلهة والبشر، ولكنه لم ينظر إلي أنه كان يدعو إلي هلاك العالم؛ فلو أُستجيب دعاؤه لذهبت جميع الأشياء** " فالعلة في ميلاد الكائنات صراع الأضداد التي تتواجه وتتناحر؛ فيُبقي كل منهما علي وجود الآخر، فالحرب عامة لكل شئ، والتنازل عدل، وجميع الأشياء تكون وتفسد بالصراع، ومن يطلب مع هوميروس انطفاء الشقاق بين الآلهة والبشر، كمثل من يطلب دمار هذا الكون؛ فهذا الصراع المخصب، هو في الوقت نفسه، تساوق وانسجام. ولهذا قال هيراقليطس: "**يُخدع الناس في معرفتهم بالأشياء الواضحة، كما كان هوميروس، بالرغم من أنه كان أحكم الإغريق** " .

وهو،هنا، يفيد معاني العقل، والمقياس الذي يسري علي الأضداد المتواقتة (التي يُحدد بعضها ببعضها في المكان) ويسري أيضاً علي الأضداد المتتالية التي تتوالي في الزمان([٢١]) وهو الذي يسميه، أحياناً، زيوس Zeus، إلا أن هذا اللوغوس ليس متعسفاً، كالآلهة؛ فالتغير نفسه، لا

– انظر: حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص ١٠٠ .

– أيضاً: محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٧٠ =

= عزت قرني، مرجع سابق، ص ٤٦ .

– برهييه. إميل : تاريخ الفلسفة، الجزء الأول (الفلسفة اليونانية)، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص ٧٥ .

– رسل. برتراند : تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول (الفلسفة القديمة)، ترجمة: زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٨٨ .

[٢١] إن هيراقليطس ليس فيلسوف التغير المطلق؛ فلقد أوضح أن كل ما يتحرك يعيش، وكل ما يعيش يتحرك؛ فالراحة والثبات من صفات الأموات، لكن الحركة والثبات ضدان يفترض احداهما وجود الآخر، وينفيه بشكل نسبي، لا بشكل مطلق؛ فالشئ يثبت في تغيره، أي أنه في ثباته يتغير؛ فلو كانت الحركة تنفي الثبات بشكل مطلق، لارتفع تعين الأشياء، واستحالت معرفتها، أو حتي مجرد الكلام عنها . فالنهر الذي ندخله للمرة الثانية، يختلف عن النهر الذي دخلناه للمرة الأولي، نسبياً، لا اختلافا مطلقاً . هذا الثبات، الذي هو مرحلة من مراحل الحركة، يسمح لنا بمعرفة الأشياء والكلام عنها، فضلاً عن أي شطط من قبل أحد الأضداد يُجاوز به الحد المعين له، يُعاقب بالموت والفساد؛ فإن تخطت الشمس حدودها، ولم تغرب في الساعة التي حددها القدر، أحرقت نارها كل شئ؛ فيقول هيراقليطس : " **إن الشمس لن تتجاوز حدودها؛ ولو أنها فعلت ذلك، لعزلتها وصيفات العدالة** (بنات الإله تيميس، إلهات النظام والعدل والسلام: أونوميا، ذيكة، إيريني) " فضلاً عن قوله: "**كل الأشياء تأتي في أوقاتها**" فهناك تغير دائم، ولكنه يخضع للقانون، حيث أنه ليس تغير في أي إتجاه، فضلاً عن هناك شئ آخر ثابت، بجانب اللوغوس، هو النار .

– انظر : محمد الخطيب، مرجع سابق، ص ١٠٦ .

– أيضاً : محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٧٢ .

– برهييه.إميل، مرجع سابق، ص ٧٥ .

– عزت قرني، مرجع سابق، ص ٤٨ .

يجري بصورة عشوائية؛ ولكنه يكشف عن معقولية، وقانون كلي، وائتلاف خفي، هو اللوغوس نفسه ([٢٢]) .

فيقول هيراقليطس ([٢٣]) : **" إن الاختلاف يجلب الائتلاف، ومن الاختلاف يأتي أجمل ائتلاف"**، ويقول أيضاً **: " الائتلاف الخفي، خير من الائتلاف الواضح "** ([٢٤]) .

فعلي الرغم من أن العالم مكون من أضداد؛ مرض وصحة، جوع وشبع، تعب وراحة؛ ولكن المرض هو ما يجعل الصحة ممتعة، والجوع هو الذي يُرغب الإنسان في الأكل، والشر هو الذي يجعل الإنسان يبحث عن الخير ويقدره، والتعب هو الذي يُرغم الإنسان علي الراحة؛ فبرغم وجود الأضداد، إلا أن بينها شئ من الوحدة ([٢٥]) وبالتالي **" ما كان الناس ليعرفوا اسم العدالة،**

---

[٢٢] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية أنواعها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦٥.

– Misch.G : The Down of Philosophy, Edited in English: Hull.R.F.G, Routledge, London and NewYork, 1950, P.254.

[٢٣] محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ص ٧١ / ٧٢ .

[٢٤] يوجد، في رأيي، شئ من التناقض حول رأي هيراقليطس في مدي معقولية اللوغوس، وحكمته في إحداث الانسجام بين الأضداد؛ فعلي الرغم من وجود كثير من الاقتباسات التي تؤكد مدي معقولية اللوغوس، إلا أن هناك بعض الاقتباسات الأخري التي تشير إلي نوع من التخبط أو العشوائية غير المبررة في تدبير اللوغوس= =للوجود؛ فيقول هيراقليطس : " **ليس العالم إلا كومة من النفايات تكونت بطريقة عشوائية**" ويقول أيضاً: "**إنه نفس الشئ أن تكون حياً أو ميتاً؛ مستيقظاً أو نائماً، يافعاً أو هرماً؛ فالمظهر الأول في كل حالة يصبح المظهر الآخر، والآخر مرة أخري يصبح الأول، بنقيض مفاجئ غير متوقع**". وأيضاً : "**الزمان طفل يلعب بالنرد، والقوة الملكية قوة طفل**" . ويمكنني القول: إن هذه العبارات توحي بالعشوائية؛ وذلك بوجود عنصر الصدمة (أو الطفرة)، والذي يدل علي وجود تغير مفاجئ، ومن المفترض أن اللوغوس يغير الأحداث في شئ من التدريج والتنظيم، فضلاً عن أن العبارة الأخيرة، قد أوحت بعدم الحكمة، أو النضج ! فالطفل لا يمتلك العقل الناضج الذي يجعله قادراً علي تدبير الأمور، أو الحكم عليها، بالإضافة إلي أن كلمة (النرد) توحي بأن الأمور خاضعة للصدفة، دون تدبير أو تنظيم .

– راجع أقوال هيراقليطس: محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص، ص / ٦٨ ، ٧١ .

[٢٥] عزت قرني، مرجع سابق، ص ٤٦ .

لو لم تحدث هذه الأشياء" ([٢٦]) فالصحة والمرض شئ واحد؛ وتنشأ هذه الوحدة إما من التجاور، وهي بمثابة وحدة ميكانيكية، وإما من الائتلاف، ولكن هذا الائتلاف ديناميكي، يشبهه هيراقليطس بالقوس والقيثارة؛ فبينهما شد وجذب، والقوس هو علة الحياة؛ فيقول هيراقليطس: **"يجهل الناس كيف يكون الشئ مختلفاً ومتفقاً مع نفسه؛ فالائتلاف يقوم علي الشد والجذب بين الأضداد، كالحال في القوس والقيثارة "**([٢٧]) فالصراع هو أبو الأشياء كلها وملكها **" وهو الذي جعل**

---

[٢٦] محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٧١ .

[٢٧] **هل يدرك جميع الناس اللوغوس** ؟ إن إدراك اللوغوس، أو ما يحدث في العالم من تغيرات، ليس أمراً شائعاً بين كل الناس؛ ويرجع هذا إلي سببين: أولاً: بطئ عملية التغير في بعض الأحيان، ومن ثم يصعب تتبعها، أو ملاحظتها. السبب الثاني، هو ما أوضحه هيراقليطس بقوله : " **إن الطبيعة تحب أن تختفي** " فالظاهر لنا هو الكثرة، وهذه الأضداد، أما الحقيقة فهي الوحدة، لكنها وحدة خفية، لا تدرك بالحواس، وليس من اليسير النفاذ إلي لب الوحدة، حتي لو بحث الإنسان كثيراً، فلكي يذكرنا بأن الإنجازات القيمة تكلف عملاً وجهداً جماً، يقول: "**من يبحثون عن الذهب يحفرون من التراب الكثير، ولا يجدون إلا القليل** " فآفة العامة–كما يقول في كتابه في الطبيعة– لا يفقهون حقيقة هذه الكلمة (اللوغوس)، ولا يفهمون أن هناك مبدأ عاماً يهيمن علي جميع الأشياء، يقبض علي ناصيتها، ويحركها من وراء حجاب . فيقول هيراقليطس : " **ينبغي أن نترك أنفسنا يقودها ما هو عام للجميع، وبالرغم من أن الكلمة (اللوغوس) عامة للجميع، فإن معظم الناس يعيشون، وكأن لكل منهم عقله الخاص** " وأيضاً : " **إن ما هو إلهي تخطئه ملاحظة الناس؛ وذلك بسبب شكهم** " فضلاً عن أن هيراقليطس لم يكن يعبأ برأي العامة؛ فكان يزدريهم، علي الرغم من أنهم قد أعلوا قدره فوق التصور، فيقول: "**إنني أنا هيراقليطس! فلماذا أيها الجهال تجذبونني تارة إلي أعلي وتارة إلي أسفل؟ إنني لم أكن أشقي،= =وأكدح، من أجلكم! بل من أجل هؤلاء الذين بوسعهم فهمي، وإن رجلاً واحداً قد يعدل في نظري ثلاثين ألف رجل ممن سواه، في حين أن الحشود، التي لا تحصي ولا تعد، لا تعدل عندي رجلاً واحداً** " .

– De Laguna. Theodore : The Importance of Heraclitus (Article): Published by: Duke University Press, The Philosophical Review, V.30, No.3, 1921, P.243 .

– أيضاً: ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلي أفلوطين وبرقلس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٥ .

– رسل. برتراند : حكمة الغرب، الجزء الأول، ترجمة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد(٦٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣، ص ٤٥ .

– اللآئرتي . ديوجينس، مصدر سابق، ص ص ١١١/١١٢ .

بعضها آلهة، وبعضها الآخر بشراً، وبعضها أحراراً، وبعضها عبيداً " إلا أن الصراع لا يؤول إلي فناء الأشياء؛ بل إلي قيامها، وجعلها ممكنة، وكل شئ هو في حالة صراع مع نفسه، لكنه، في الوقت نفسه، يؤلف كلاً واحداً متوافقاً، **" فالقوس تسمي الحياة، ولكن فعلها هو الموت"**([٢٨]) .

فيقول هيراقليطس ([٢٩]) :

" يميز هزيود بين أيام طيبة، وأيام شريرة، دون أن يعرف أن كل يوم يشبه الآخر " .

" لا تستمعوا إليّ؛ بل إلي الكلمة (اللوغوس)؛ إن من الحكمة أن ندرك أن الأشياء كلها واحد".

" إن الحكمة واحدة، وهي أن تعرف العقل الذي به تتحرك كل الأشياء، خلال كل الأشياء" .

" الطريق إلي فوق، وإلي أسفل واحد، وأن البدء والنهاية في محيط الدائرة واحد، الخالدون فانون، والفانون خالدون، أحدهما يعيش بموت الآخر، ويموت بحياة الآخر " .

" ما فينا هو شئ واحد، ونفس الشئ: حياة وموت، يقظة ونوم، صغر وكبر، فالأولي (من الأضداد) تتحول وتصبح الأخيرة، والأخيرة تصبح الأولي" .

– محمد عبد الرحمن مرحباً، مرجع سابق، ص ١٠٥ .

– محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص، ص / ٦٧ ، ٦٩ .

[٢٨] كوبلستون . ف : تاريخ الفلسفة، الجزء الأول (اليونان وروما)، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٧٨ .

– أيضاً : حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ١٠٣ .

– محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٧١ .

– Appleton,R.B : The Elements of Greek Philosophy, Methuen and CO. LTD., London, 1922, PP.20/21.

– Scoon,R : Greek philosophy Before Plato, Princeton University Press, Princeton, 1927, P.53.

[٢٩] جعفر آل يس : فلاسفة يونانيون، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١٢، ص ٦٧ .

– أيضاً : عزت قرني، مرجع سابق، ص ٤٧ .

– محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٧١ .

ولقد صور هيراقليطس المبدأ القائل بإن الأشياء جميعاً دائمة السيلان تصويراً حسياً؛ فأوضح أن هذا المبدأ هو النار؛ لأنها العنصر الذي تتمثل فيه فكرة التغير الدائم المستمر([٣٠]) وهو المبدأ الذي تصدر عنه جميع الموجودات، وإليه تعود في نهاية المطاف **"فالصاعقة توجه الأشياء جميعاً"** (إذا كانت الصاعقة، هنا، تعني النار حقاً)؛ فالنار عند هيراقليطس ليست مجرد شئ محسوس وملموس فقط؛ لأنه قد أضفي عليها خصائص عقلية مجردة؛ فهي مسئولة عن تدبير العالم، والنفس الإنسانية؛ فالعالم لم تصنعه آلهة أو بشر؛ ذلك أنه وجد هكذا، وسوف يستمر في الوجود هكذا، نار حية أبدية **" تشعل نفسها بنفسها، بنسب منتظمة، وتخبو بنسب منتظمة"** فالنار ليست هي اللهيب فحسب؛ بل أيضاً الدفء والحرارة علي وجه العموم؛ ولذلك فقد سماها (البخار المتصاعد)؛ فالأشياء تتكون من النار، ثم تعود إليها، وهكذا ([٣١]) ولما كان لا يوجد أي

---

[٣٠] أوضح عبد الرحمن بدوي أن هناك مسألة تعترضنا في قول هيراقليطس بالنار كمقوم مادي للوجود، وهي الإجابة عن السؤال الآتي : هل قال هيراقليطس إن الأشياء جميعاً دائمة السيلان؛ لأنه رأي أن أصل الأشياء هي النار؟ أم أن هيراقليطس قال إن أصل الأشياء هي النار؛ لأنه رأي أن الأشياء دائمة السيلان ؟ وقد أجاب بدوي عن هذا التساؤل بأن الروايات والمنطق ينطقان بصحة الرأي الثاني القائل بإن هيراقليطس جعل النار المبدأ الأول؛ لأنه رأي أن الأشياء كثيرة التغير، أو دائمة السيلان. فالنار هي المبدأ – من بين المبادئ كلها – الذي يتمثل فيه دوام السيلان، أما المبادئ الأخري (مثل: الماء، والهواء، والتراب) فلا يتمثل فيها هذا الدوام في السيلان، خاصة وأن النار التي قال عنها هيراقليطس لا يجب أن تُفهم بمعني روحي فقط؛ بل أيضاً بمعني حسي مادي؛ باعتبارها العنصر الذي يدركه الحس؛ فالمعني المحسوس لا يتنافي مع التصور العقلي الميتافيزيقي. ومن ثم، فإن النار، هنا، تجمع بين المعنيين: الروحي، والمادي .

– انظر : عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ١٨٧ .

– أيضاً : أميرة حلمي مطر، مرجع سابق، ص ٦٣.

[٣١] **كيف تصدر الموجودات عن النار ؟**

إن النار عنصر، وجميع الموجودات عبارة عن تحولات، أو تبادلات من النار، وهي تنشأ عن طريق التخلخل والتكاثف؛ ذلك أن النار عن طريق التقلص (أو الانكماش) تتحول إلي رطوبة، وعن طريق التكثيف تتحول إلي ماء، وعن طريق التجميد يتحول الماء إلي تراب، وهو يسمي هذه العملية باسم (الطريق الهابطة) أو المؤدية إلي أسفل. ومن ناحية أخري، فإنه عندما يُتاح للتراب أن يتحول مرة أخري إلي السيولة أو التميع، يتخلق منه الماء، ومن الماء تنشأ بقية الأشياء . ويعزو هيراقليطس نشأة جميع الموجودات، تقريباً، إلي البخار (الزفير) المتصاعد من البحر، وتسمي هذه العملية باسم (الطريق الصاعدة) أو المؤدية إلي أعلي. ومن رأيه، أن عمليات الزفير تنشأ

شئ ثابت علي الإطلاق، فلا توجد، إذن، أي صورة باقية؛ إذ أن كل شئ في تحول مستمر، بشكل تعاقبي، وفق دورات زمنية محددة ([٣٢])

من الأرض بمثل ما تنشأ من البحر، أما تلك الناشئة من الأرض فتكون قاتمة مظلمة . وتتغذي النار علي الأبخرة الوضاءة النقية، في حين أن الرطوبة تتغذي علي الأبخرة الأخري (المظلمة)، بحيث تتجمع الأبخرة الوضاءة لتكون ألسنة اللهب التي تشكل قوام النجوم . أما النهار والليل، وكذا الشهور، والفصول، والأعوام= =ومثلها الأمطار والرياح، وما يماثلها من ظواهر طبيعية، فتنشأ عن طريق الأبخرة المتصاعدة أيضاً. فيقول هيراقليطس : "**هناك مبادلة بين جميع الأشياء والنار، وبين النار وجميع الأشياء، كالمبادلة بين السلع والذهب، وبين الذهب والسلع**" . ويقول أيضاً : "**إن تغيرات النار هي: أولاً البحر، ثم يصير نصف البحر أرضاً، ويصير النصف الآخر برقاً** "، وأيضاً : " **إن النار تفرق ثم تجمع ثانية، إنها تتقدم وتتقهقر**" .

- انظر : اللاّئرتي . ديوجينس، مصدر سابق، ص ١٠٥-١٠٧ .

- أيضاً : محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٦٨ .

- English.R.B : Heraclitus and the Soul (Article), Transactions and Proceedings of the American Philological Association, V.44, Published by: The Johns Hopkins University Press, 1913, PP. 163-169.

- Nahm.M.C (ed) : Selections From Early Greek Philosophy, Appleton Century Crofts Inc., NewYork, 3th.ed, 1947, P.86.

- Burnet.J : Greek Philosophy, Part. 1 (from Thales to Plato), Macmillan and CO., Limited., London , 1928, P.61.

- Stace.W.T, Op.Cit, P.30.

[٣٢] حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص ١٠٤ .

- أيضاً : محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص ٦٨ - ٧٢ .

- عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص١٨٦ .

- آرمسترونج. أ.هـ، مرجع سابق، ص٣١ .

- محمد الخطيب، مرجع سابق، ص١٠٨ .

- Smith.I.Constance : Heraclitus and Fire (Article), Journal of the History of Ideas, Vol.27, No.1, Published by: University of Pennsylvania Press, 1966, P.125/126.

فجدير بالذكر، إن هيراقليطس قد اهتم بعودة الأشياء إلي النار، أكثر من اهتمامه بوصف انفصالها عنها؛ لذلك قال بفكرة (الاحتراق الكلي)، وقد اقترنت هذه الفكرة بفكرة تجدد العالم علي فترات كبيرة في الزمان، وهي فكرة (العود الأبدي)([٣٣]) فكل شئ يتحول إلي النار في سلسلة لا تنتهي من الدورات الأبدية السرمدية التي تقتضيها الحكمة العادلة المنظمة للكون. غير أن النار تخلص، شيئاً فشيئاً، مما تحولت إليه، فيأتي وقت لا يبقي فيه إلا النار، وهذا هو الدور التام (أو السنة الكبري)، التي تتكرر إلي غير نهاية، بموجب قانون ضروري، وهو اللوغوس؛ فالنار هي الحاكم الأسمي الذي يخضع لحكمه كل شئ، وهي زيوس الإله الخالد وحده، فيما يفني غيره من الآلهة الواحد تلو الآخر. والنار، في كل آنٍ، ومكان، هي الينبوع الأول للحياة، تخرج من القلب، حيث مقرها، وتتفرع في العضلات والأعضاء، وتبث فيها الحركة والنشاط؛ فالنفس الإنسانية عند هيراقليطس ليست سوي قبس من النار الإلهية تدبر البدن، كما تدبر العالم ([٣٤]) وعندما تترك الجسم، فإنها لا تفني، ولكنها تعود من حيث أتت إلي عالم النار، وكلما كانت أكثر جفافاً، كانت أقرب إلي الكمال؛ ذلك أن النفس الأكثر جفافاً أحكم النفوس وأفضلها؛ فيجب علي النفس ألا تتشبث بالجسم ومطالبه؛ بل تلقي بذاتها في التيار العام، وتقمع الشهوات، والثروات، وتردها إلي الطريق القويم؛ لذلك يقول هيراقليطس: **" تجد النفوس لذتها في أن تصبح رطبة"**([٣٥]) ويقول

---

[٣٣] أميرة حلمي مطر، مرجع سابق، ص٦٣ .

[٣٤] محمد عبد الرحمن مرحباً، مرجع سابق، ص ١٠٣ .

[٣٥] **تفرض علينا هذه العبارة تساؤلاً مهماً** : كيف يمكن للنفس أن تجد لذتها في أن تصبح رطبة، وفي الوقت نفسه يقول هيراقليطس بإن النفس الأكثر جفافاً هي أحكم النفوس وأفضلها ؟ ألا يوجد تعارض بين الفكرتين؟ يمكنني القول: إن في الأمر تعارض ظاهري فقط؛ فالسعادة – من وجهة نظري – تختلف في معناها عن اللذة، فالأخيرة تعطي انطباعاً حسياً، وقتياً، في حين أن السعادة تعبر عن إحساس روحي، يعبر عن السلام النفسي، والطمأنينة، والرضا، والخلاص الذي لا يشوبه قلق أو توتر؛ نتيجة الإحساس بنقص أو حاجة. وبالتالي، فإنني أري أن عبارة هيراقليطس لا تتعارض مع فكرته عن فضائل النفوس الجافة؛ فالرطب يتعارض مع الجاف بالطبع، والنار بطبيعتها جافة (تحيا بموت الماء) فإذا كانت النفس نارية، فمن الأفضل لها أن تحافظ علي القبس الإلهي فيها جافاً، دون أن تلوثه، شيئاً فشيئاً، بالملذات والشهوات . فالأمر تشبيه من هيراقليطس: فكما أن الماء يقضي علي النار(أو كما يقضي الرطب علي الجاف) تقضي الشهوات علي الفضائل؛ وبالتالي هي دعوة منه للاقترب من الفضائل، والبعد عن الملذات قدر الإمكان؛ وذلك حتي تحافظ النفس علي توهج العنصر الإلهي فيها .

[٣٥] حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص، ص/ ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٣ .

أيضاً: **" إنه من الصعب محاربة رغبات القلب؛ فكبح جماح الشهوة أمر عسير، وإرضاء هذه الرغبات، إنما يكون علي حساب الروح"** . وأيضاً : **" حين يشرب الرجل الخمر يقوده صبي أمرد، ولا يعرف أين يذهب، وتكون نفسه رطبة "**. فهيراقليطس لم يفصل بين الإنسان وبين العالم؛ بل أن الإنسان، عنده، عالم صغير، وبهذا الفهم لا يكون هناك فاصل بين العمليات النفسية، كالذكاء مثلاً، وبين العمليات الكيميائية الناتجة من فعل النار؛ بل أن هيراقليطس يخلع علي النار صفات الكائن الحي؛ كقوله: **" أطوار النار الجوع والشبع "** فليس ما في هذا العالم من موجودات إلا وقود يحترق، أو دخاناً ينطلق، والعالم، كله، كمجري ماء يتدفق باستمرار([٣٦]) **وهي الفكرة الفلسفية، ذاتها، التي تعبر عن تصور زيجمونت باومان (للسيولة) في عصرنا الحالي.**

<u>ثانياً/ زيجمونت باومان : الحداثة من الصلابة إلى السيولة</u>

يقول زيجمونت باومان في وصف كتابه (الحداثة السائلة) : **" ربما يكون أفضل وصف لكتاب الحداثة السائلة أنه قصة سفر، قصة انتقال أو عبور، قصة التوسع التدريجي المتواصل للمسافة التي تفصل الظرف الحياتي الحالي عن نقطة انطلاقه، قصة وضع إنساني يصير مختلفاً عما نعرفه، أو ظننا أننا نعرفه .. فإن ما تتميز به طريقة الحياة الحديثة عن أنماط الحياة**

- أيضاً : محمد عبد الرحمن مرحباً، مرجع سابق، ص ١٠٣ .

- Gorgiev.S.R : The Relationship of the soul and the Logos in Heraclitu's Fragments (Article), Published in : Philosophy, Sociology, Psychology and History, V.8, No.1, 2009, P.56.

[٣٦] حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص، ص/ ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٣ .

- أيضاً : محمد عبد الرحمن مرحباً، مرجع سابق، ص ١٠٣ .

- Gorgiev.S.R : The Relationship of the soul and the Logos in Heraclitu's Fragments (Article), Published in : Philosophy, Sociology, Psychology and History, V.8, No.1, 2009, P.56.

السابقة يكمن في التحديث الوسواسي الإدماني - إنه يكمن، دعوني أكرر، في الإذابة المتواصلة، والإحلال السريع للبُني، والنماذج الذائبة " ([٣٧]) .

فلقد انبثق تصور **الحداثة السائلة** ([٣٨]) عند باومان من التأثيرات المختلفة التي خلفتها العولمة في عصرنا الحالي، وإذا كنا سنتناول، في شئ من التفصيل، وجهة نظر باومان في الحداثة السائلة، فلابد من بيان السياق النظري السابق، والذي يعد نقيضاً للحداثة السائلة، وهو مرحلة الحداثة الصلبة . فهناك فارق اصطلاحي بين كل من: (**الحداثة الصلبة**) و(**الحداثة السائلة**)؛ فمصطلح (الحداثة الصلبة) يشير إلي المركزية المؤسسية، والبيروقراطية القانونية التقليدية، والتي تمتلك من القوة، والسيطرة، ما يجعلها عائقاً أمام محاولات التغيير الفردية في الهياكل الاجتماعية المختلفة . أما مصطلح (الحداثة السائلة)، فيشير إلي عملية (تدفق السيولة) أو(التسييل) أو الإذابة التي يخضع لها حاليا العرف الاجتماعي، وذلك عن طريق بعض الممارسات، والاستراتيجيات التي تعمل علي تقليل الطابع الصلب لهذه المؤسسات ([٣٩]) ومن ثم، فإن باومان لا يعطينا لقطة ثابتة لصورة ساكنة؛ بل يشرح لنا الحداثة في حركتها ومسيرتها وتحولاتها؛ فهو ينتقل، في تحليله، من وصف الحداثة الصلبة التي تسعي لصناعة القواعد

---

[٣٧] باومان . زيجمونت : الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٢، ص ص ٢١/٢٠ .

[٣٨] إن " **الميوعة** " سمة المواد السائلة والغازية؛ فهذه المواد تتميز، عن المواد الصلبة، بعدم قدرتها علي الاحتفاظ بقوي التماسك بين مكوناتها في حالة السكون، ومن ثم تغير شكلها باستمرار(مما دعا باومان إلي استخدام مصطلح الميوعة أو السيولة؛ باعتباره الصورة المجازية الرئيسة التي تعكس المرحلة الحالية من العصر الحديث) فما تعنيه سمات الموائع كافة، أنها علي العكس من المواد الصلبة، لا يمكنها الاحتفاظ بشكل محدد فترة طويلة، وتكون دائماً علي استعداد، وميل لتغييره من وقت لآخر . فعنصر الزمن هنا هو المحك؛ فالمواد الصلبة، بقدرتها علي الثبات، تنجح في مقاومة الزمن، أو تلغي أهميته . فإذا تحدث المرء عن المواد السائلة وتجاهل عنصر الزمن، فإنه يرتكب بذلك خطأ شنيعاً؛ فكل حديث عن الموائع إنما هو لقطة فوتوغرافية تحتاج إلي تاريخ أسفل الصورة، علي حسب تعبير باومان .

– انظر : باومان، الحداثة السائلة ، ص ص ٤٢/٤١ .

[39] Lee.Raymond(L.M): Bauman, Liquid, Modernity and Dilemmas of Development (Paper), Sage Publications, London, 2005, P.63.

الصلبة، واليقين المادي المبني علي زعم القدرة علي التحكم، إلي الحداثة السائلة التي تقوم علي منطق الاستهلاك بمعناه العميق؛ للمكان، والقيم، والأشياء، والعلاقات ([٤٠]) .

فلقد أوضح باومان أن الواقع الحالي يخضع لعملية تحديث مستمرة، تعمل علي إذابة، و(تمييع) مجموعة كبيرة من الكيانات الثابتة أو المستقرة، أو الكيانات التي تستمد بقاءها، واستمراريتها من داخلها علي نحو ثابت (مثل: البني الاجتماعية، والروابط الإنسانية، والنماذج السلوكية، والنماذج القيمية، وما إلي ذلك)، فضلاً عما يترتب علي هذا التمييع من إضعاف لقوتها، وقبضتها علي النموذج الإنساني الموجود في العالم الحالي . فالتحديث متواصل منذ بدايته، وإلي الآن، أملاً في الوصول إلي حالة من الكمال (وهي الحالة التي تنتظرها الإنسانية في نهاية المطاف) لذلك كان لابد من التصدي لكل ما يؤدي إلي النقصان، والتشويه، والتعطيل، والتعجيز، أي لابد من رفع شعار (**التغيير للأفضل**)، والذي حول أفق التحديث إلي نشاط صاخب، مضطرب، مُهَوّس، ومهووس بعمليات الإذابة والتمييع . ومن ثم، فإن إزالة خط النهاية من أفق التحديث، هي ما تميز الحداثة في مرحلة (السيولة) عنها في مرحلة (الصلابة)؛ فالقائمون علي التحديث، في الوقت الراهن، لا يرغبون في إنهاء نشاطهم؛ بل أن هدفهم واهتمامهم، يتمثل في الحفاظ علي قوتهم وحيويتهم وقدرتهم علي مواصلة العمل والطفرات التحديثية بلا نهاية . فلقد ذاب ميراث الحداثة الصلبة كله في أثناء الإذابة والتمييع، باستثناء الهوس بالإذابة، وإدمانها، ووسواسها القهري، الذي ارتقي الآن إلي مرتبة القاعدة الطبيعية الملزمة، ومبدأ النظام الجديد المستقر، بل والدائم الراسخ ([٤١]) وكأن الهوس بالحداثة هنا، والذي يصفه باومان بالنظام الجديد الثابت، هو (**اللوغوس**) الهيراقليطي الذي يحكم عملية السيلان، أو الإذابة المستمرة .

فيقول باومان : **" إن القول بوجود الحداثة دون تحديث وسواسي قهري، إنما هو تناقض لا يختلف عن القول بوجود رياح لا تهب، أو نهر لا يجري .. ففي تحول عظيم صار المجتمع يعظم أيما تعظيم المرونة في قلب الأشياء رأساً علي عقب، والتخلص منها، والتخلي عنها، فضلاً عن أن الروابط الإنسانية، التي يسهل حلها والفكاك منها، والواجبات التي يسهل الرجوع عنها، وقواعد اللعبة التي لا تدوم أطول من زمن اللعبة التي نلعبها الآن، وأحياناً لا تدوم القواعد، وتنتهي قبل أن ننتهي من اللعبة، فقد أُلقي بنا جميعاً في سباق نلهث فيه وراء كل جديد"**([٤٢])

---

[٤٠] راجع تقديم كتاب (الحداثة السائلة) : نحو فقة الحداثة وفهم الواقع، ص ١٢ .

[٤١] باومان، الحداثة السائلة ، ص ٢٠ – ٢٣ .

[٤٢] باومان، الحداثة السائلة، ص ٣١ .

ففي هذا النظام الجديد، نجد أن المرونة هي الثبات الوحيد، والزوال هو الدوام الوحيد، والسيولة هي الصلابة الوحيدة، واللايقين هو اليقين الوحيد . فعلي الرغم من اختلاف أنماط الحياة الحديثة في بضع نواحٍ، إلا أنها تتشابه، تحديداً، في طبيعتها الهشة العابرة، وقابليتها للتغير الدائم، وميلها إليه؛ فحتي يكون المرء من أهل الحداثة، لابد أن يأخذ بالتحديث، وأن يعكف عليه، ويفرضه، فلا يكفي للتحديث أن (يكون) وأن تبقي هويته علي حالتها الأصلية الكاملة، بل لابد أن يدخل (**عالم الصيرورة الدائمة**)؛ فإذا حلت بنية جديدة محل أخري قديمة، باعتبارها سلعة منتهية الصلاحية، فإن ذلك لا يعدو أن يكون تسوية لحظية، يعلم الجميع أنها حالة مؤقتة "حتي إشعار آخر" ([٤٣]) فمن السمات الأصلية للحداثة السائلة، أن يكون الشئ، في أية مرحلة، وفي كل الأوقات **"ما بعد الشئ"** ([٤٤]) .

ولقد تساءل باومان: **ألم تكن الحداثة عملية إذابة منذ نشأتها ؟ أو بعبارة أخري: ألم تكن الحداثة (مائعة) منذ نشأتها ؟**

إن هذا التساؤل يطرح تلميحاً بأن مرحلة (الصلابة) كانت وهماً من البداية، وأن الهدف الرئيس للحداثة، قد تمثل، من البداية، في الاستعانة بالعلم، والتقنية، رغبةً في التخلص من النظم

---

[٤٣] المصدر السابق، ص،ص / ٢٣، ٢٦، ٢٧ .

[٤٤] جدير بالذكر أن باومان قد لفت الانتباه إلي أن كلاً من (الصلابة) و(السيولة) لا تعدان ثنائية متعارضة؛ بل حالتان متلازمتان، تحكمهما رابطة جدلية؛ فالبحث عن صلابة الأشياء والحالات، هو ما دفع إلي إذابتها، وأبقي علي استمرارية الإذابة، ووجه مسارها، فالسيولة لم تكن خصماً معاديا للصلابة، بل أثر من آثار البحث عن الصلابة " **ولم يكن لها أب سواه** " فإذا كان من شئ يسمح بالتمييز بين الحداثة في مرحلتي (الصلابة) و(السيولة) باعتبارهما متتالية زمنية، فإنه التغير في الأعراض الظاهرة، والكامنة وراء هذه الجهود . فلم يكن السبب الأصلي وراء ذوبان المراكز الراسخة مجرد عداوة للصلابة، بل حالة من عدم الرضي بدرجة الصلابة التي تتسم بها المراكز الصلبة المتوارثة، مما أدي إلي إحلال المرونة محل الصلابة بوصفها الوضع المثالي للتعامل مع الأمور والأشياء . فإذا كان جوهر الحداثة في مرحلة الصلابة يتمثل في التحكم في المستقبل وتثبيته، فإن شغلها الشاغل في مرحلة السيولة، إنما يتمثل في ضمان استقلال المستقبل وحريته . فلقد وجد أهل الحداثة في التغيير ضرورة مُلحة تفرض تحولاً من النظم والبني البالية، التي أصابها الضعف والوهن والصدأ، إلي بدائلها الملائمة للعصر الحالي .

– انظر : باومان، الحداثة السائلة، ص ٢٧ – ٢٩ .

التقليدية، والأطر المترددية، أملاً في الوصول إلي مجتمع جديد، منظم، صحي، متقدم ([٤٥]) فلقد كانت الإذابة وسيلة الإنسان (لقولبّة) الهياكل الصلبة، بشكل ملائم، أملاً في الوصول للسعادة الإنسانية بشكل أفضل ([٤٦]) .

ولهذا أوضح باومان أن هدف الحداثة لم يكن إذابة المواد الصلبة مرة واحدة، وخلق عالم جديد يخلو منها إلي الأبد؛ بل كان الهدف تطهير المساحة، لظهور مواد صلبة جديدة مُعدلة، واستبدال بالمنظومة المتوارثة للمواد الصلبة، والمعيبة، والناقصة، منظومة أخري، تحظي بتعديل فائق، (وياحبذا لو وصلت إلي الكمال، بحيث لا تحظي بتعديل آخر) إلا أن هذه النتيجة لم تتحقق؛ وذلك لصعوبة الثبات علي خيار واحد يتفق عليه الجميع، بحيث يصبح واقعاً ثابتاً في الحياة الاجتماعية، مما جعل من (الإذابة) هدفاً في حد ذاته، دون وجود للقواعد، أو المبادئ، أو المثل، التي يمكن للمرء أن يمتثل إليها، ويهتدي بها، ويتخذها معالم للطريق ([٤٧]) بدلاً من أن يسقط الإنسان في هوة الروابط البالية، والعلاقات الاجتماعية العابرة، والمسئوليات التي يتعجل إنسان العصر الحالي الهرب منها . فسيولة العصر الحالي تتجلي في الالتزام الذي لا يدوم، والمُبررات المؤقته، التي لا تظل مُقنِعة لمدة طويلة، والرغبات التي لا تنتهي، وحالة التنقل الدائم التي تعد، حالياً، درباً من دروب الحرية الشخصية . فطبيعة المجتمعات الحديثة الحالية، تتميز بكونها حرة، مرنة، لها قدرة كبيرة علي المراوغة، والتبدل، والتحول بصورة سريعة ([٤٨]) .

فلقد أوضح باومان أن ثمة علاقة وطيدة بين (**الحياة السائلة**)، و(**الحداثة السائلة**): فالحياة السائلة نحياها، عادة، في مجتمع حديث سائل (وهو مجتمع تتغير فيه الظروف التي يعيشها أعضاؤه، بسرعة لا تسمح باستقرار الأفعال في عادات وأعمال منتظمة) وهكذا تتغذي سيولة الحياة علي سيولة المجتمع، وتستمد طاقتها وحيويتها منها، والعكس صحيح، تماما مثل المجتمع

---

[45] Lee.Raymond(L.M),Op.Cit, P.64.

[46] Zygmunt Bauman: Identity in the Globalizing World (Paper), European Association of Social Anthropologists, Vol.9, June 2001, P.3 .

[٤٧] باومان، الحداثة السائلة، ص ٤٣ –٤٨ .

[48] Lee.Raymond(L.M),Op.Cit, P. 66.

– Gane.Nicholas : Zygmunt Bauman, Liquid Modernity and Beyond (Paper), Published in: ACTA Sociologia, 2001, P. 269.

الحديث السائل؛ فهي حياة لا يمكن أن تحتفظ بشكلها، ولا تظل علي حالتها وقتاً طويلاً؛ فالمزيّة تتحول، في لمح البصر، إلي عيب، والقدرة، تتبدل سريعاً، إلي عجز ! فضلاً عن أن ظروف حياة الفرد نفسها تتقدم سريعاً، وما يلجأ إليه الإنسان من أفعال، أو استراتيجيات تتغير بصورة يصعب معها التعلم من خبرات الماضي؛ فتجارب الماضي لا يمكن أن تستوعب ما يطرأ علي الظروف من تغيرات سريعة غير متوقعة - ولا يمكن توقعها- إلي حد كبير([٤٩]) ومن ثم، فإن الحياة السائلة حياة محفوفة بالمخاطر، يحياها المرء في حالة من اللايقين الدائم ([٥٠]) .

فالحياة السائلة، حياة استهلاكية، تجعل من العالم، بكل أحيائه، وجماداته، موضوعات للاستهلاك، وهذه الأخيرة لها عمر افتراضي، وإذا انتهي، لا تصلح للاستهلاك . ومادامت عبارة (صالح للاستهلاك) هي الصفة الوحيدة التي تحدد وظيفة هذه الموضوعات، فإن انتفاء هذه

---

[٤٩] باومان: الحياة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٦ ، ص ص ٢٢/٢١ .

[٥٠] أوضح باومان في كتابه **(الخوف السائل)**، أن الخوف هو الاسم الذي نسمي به حالة (اللايقين/الشك) التي نعيشها، وهو الاسم الذي نسمي به جهلنا بالخطر، فهذا الأخير هو أهم أسباب الشعور بالخوف؛ فنحن لا نعلم الأخطار التي تواجهنا، ولا نعلم أيضاً ما يجب علينا فعله لمنعها. فالخوف هنا، شعور بفقدان الأمان، فالعالم يعج بأخطار قد تقع في أي وقت بإنذار بسيط، أو دون إنذار، بالإضافة إلي إحساس العجز؛ فعند وقوع الأخطار ليس هنالك سوي فرصة ضئيلة، إن وجدت، للهرب، أو الدفاع الناجح . وإذا استوعب المرء رؤية للعالم تقوم علي الإحساس بفقدان الأمان والعجز، فإنه يلجأ، عادة، حتي في غياب خطر حقيقي، إلي استجابات ملائمة من أجل مواجهة مباشرة مع هذا الخطر . فمجتمعنا الحديث السائل، هو أداه تعين المرء علي تحمل الحياة المُخيفة؛ فكل شئ يتحول إلي حالة مؤقتة حتي إشعار آخر " **فالموت يدوم حتي يظهر من جديد أحد المشاهير الذين طوتهم صفحة النسيان زمناً طويلاً، أو حتي تظهر مقطوعة موسيقية لم يسمعها الناس زمناً طويلاً، أو حتي تظهر موضة من الزمن الجميل، وبما أن المصائب الكبري صارت شائعة فلم يعد الفقدان شيئاً قاتلاً، أو لا يبدو قاتلاً؛ فهذا الفقدان أو ذاك، إذا حدث، فإنه يكون، علي الأرجح، قابلاً للنسيان، مثلما أثبتت أشياء أخري عديدة قبله أنها قابلة للنسيان** " .

– انظر : باومان : الخوف السائل، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٧، ص ٢٥–٢٩ .

– Zygmunt Bauman, Leonidas Donskis : Moral Blindness, Polity Press, Cambridge, 2013,PP.96/97.

الصفة، يجعلها غير صالحة تماماً ! فإذا فقدت صلاحيتها، وجبت إزالتها، وإزاحتها من ساحة الحياة الاستهلاكية، حتي تفسح المكان لغيرها من موضوعات الاستهلاك الجديدة . فالحياة السائلة تري في الحفاظ علي هذه العناصر (البالية) عملاً غير عقلاني، وليس بوسع منطق الحياة السائلة أن يدافع بسهولة عن الحق في الحفاظ علي هذه العناصر لنفسها، أو يثبت هذا الحق أصلاً ([٥١]) فلقد أصبح الإنسان عاجزاً عن خفض السرعة المذهلة التي يسير بها التغيير، بل أصبح عاجزاً عن استقراء مسار التغيير، والسيطرة عليه؛ **" فلقد صارت المدن مقالب قمامة لمخلفات العولمة "** وأصبح فضاء التدفقات السائلة يخلق تربة خصبة جديدة (عولمية)، تهدد بالمزيد من التهميش، والخوف، وحلّ لكل التزام، أو ارتباط ([٥٢]) فالحياة السائلة تتدفق من تحدٍ إلي آخر، ومن حدث منفصل إلي آخر، وسط مجموعة من الأخطار، أخطرها ما لا يمكن توقعه مستقبلاً ([٥٣]) ومن ثم، فإن إدارة الإنسان لحياته السائلة الحالية، تتمثل في مدي سيطرته علي التدفق السريع للأحداث، وذلك بمحاولة توقع الاحتمالات، أو التلاعب بها - علي حد تعبير باومان - قدر الإمكان ([٥٤]) .

ثالثا / هيراقليطس اليوم : قراءة معاصرة فى ضوء تصور (السيولة) عند باومان

لقد كانت فلسفة هيراقليطس تأكيداً علي دينامية الحياة؛ فالقول بالسيلان المستمر، وديمومة التغير، جعل من هيراقليطس الجدّ الأول لفلسفات (التغير الاجتماعي) الحديثة، والمعاصرة . ففكر هيراقليطس لا ينطبق علي مجتمع بعينه، بقدر ما يعد فكراً (عالمياً) يعكس، بصورة أو بأخري، طبيعة عالمنا المعاصر بصورة شاملة . فالفكرة الهيراقليطية عن (التغير) المستمر، والصيرورة الدائمة، هي أفضل تعبير ممكن عن حالة عدم الثبات التي نعيشها اليوم ([٥٥]) .

---

[٥١] باومان، الحياة السائلة، ص ص٣٠/ ٣١ .

[٥٢] باومان : الأزمنة السائلة (العيش في زمن اللايقين)، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٧، ص، ص / ٣٤ ، ١٠٠ .

[٥٣] باومان، الخوف السائل، ص ٢٩ .

[54] Zygmunt Bauman : Culture and Management (Paper), parallax, vol,10, no.2, Routledge, Taylor and Francis Ltd, London, 2004, P. 1.

[55] Babatunde .S.J : Heraclitean Flux as a Philosophy of Social Change (Article): International Journal of Humanities and Social Science Invention ISSN (Online), V.3, 2014, PP.41/42 .

فالمتتبع لفكر هيراقليطس، يمكنه أن يلاحظ مدي الرغبة الواضحة في فلسفته لتحقيق هدف معين، ألا وهو تغيير العالم من حوله (علي الرغم من النقد الموجه لشخصيته الأرستقراطية المتعالية)؛ فالقول بالسيلان المستمر، لا يتفق، إطلاقاً، مع الأخذ بالقوالب الصلبة، الجامدة، سواء في مجال الفكر، أو العمل، بل يستلزم (توسيعاً) في فكرة (التغير) نفسها، يصل مداه إلي القول بحرية الحركة، والتنقل، سواء كان: من فكرة لفكرة، أو من طبقة اجتماعية لأخري، بحيث يصبح المجتمع، ساحة مليئة بالمعاناة، والتناقضات، والصراعات المختلفة، التي يحتل فيها (التغير)، في ديناميته المستمرة، الأولوية الأولي . فعبارة هيراقليطس : **" إن الطريق إلي أسفل، أو إلي أعلي واحد"** لا تعبر، فقط، عن إمكانية تغيير المكان؛ ولكنها تعبر، في مضمونها، عن فكر منطقي، يجعل من السيلان الحقيقة العالمية التي (تضمن) إقرار قانون التغير في أي وقت، وفي كل مكان؛ فعبارة : (لا يمكن أن يتغير شئ) لا يمكن وصفها الآن بكونها واقعية، بالمعني الواسع للكلمة؛ فلا يمكن توقع الاستقرار في عالم سائل يتغير بشكل مستمر ([٥٦]) .

فلقد أوضح هيراقليطس : **" إن العالم المتحرك لا يستطيع أن يعرفه إلا ما كان متحركاً"** ([٥٧]) وهي عبارة تستحق النظر؛ وذلك لكونها تعبر عن المعضلة الحالية التي يواجهها إنسان هذا العصر؛ فصعوبة إنجاز مهمة ما الآن، لا تتمثل في كيفية البدء بها، بل في كيفية إنهائها ! فلقد أصبحت قائمة القواعد الرئيسة التي تسود العصر الحالي، والتي يجب علي الإنسان أن يتعامل معها، تتمثل في: تشديد الضرورة علي النسيان، والحذف، والإسقاط، والاستبدال؛ فالحياة في المجتمعات السائلة لا تتوقف عن الحركة الدائمة؛ حيث لابد من مواصلة التحديث، وإلا

- Patrick.G.T.W: A Further Study of Heraclitus (Article), The American Journal of Psychology, V.1, No.4, 1888, P.558.

[56] Mckirahan.R : Presocratic Philosophy (Article), Published in: The Blackwell Guide to Ancient Philosophy, Edited by: Shields. Christopher, Blackwell Publishing, U.S.A, 2006, P.16 .

- Wheelwright.Philip : Heraclitus, Princeton University Press, Princeton, 1959, P.31.

- Babatunde .S.J, Op.Cit, P.45.

- Baloyannis.J.S, Op.Cit, P.1.

- Patrick.G.T.W, Op.Cit, PP. 566/567.

[٥٧] محمد علي أبو ريان ، مرجع سابق، ص ٦٨ .

ستفني([٥٨]) فالسكون موت، وعدم، و**"حتي شراب الشعير يفسد إذا لم يتحرك "** . فلقد أصبح الأمر كما يقول الفيلسوف الأمريكي رالف والدو إمرسون Emerson (ت/١٨٨٢) : **" التزلج علي جليد عائم، يعني أن سلامتنا في سرعتنا ! "** ([٥٩]) فالحياة السائلة سلسلة من البدايات الجديدة، بحيث يمكن القول: **"إن تعلم أسبقية التخلص من الأشياء .. صار أحد فنون الحياة الحديثة السائلة، وإحدي المهارات اللازمة لممارستها "** فلابد لهذه الحياة أن تعكف علي تجريد نفسها، يومياً، من السمات التي مر عليها **" تاريخ الصلاحية "** علي حد تعبير باومان، مما يؤدي، شيئاً فشيئاً، إلي تفكك الهويات، أو ما يُعبر عنه الأن بمصطلح (**التدمير الخلّاق**) ([٦٠]) .

فيقول باومان : **" التدمير الخلاق موضة الحياة السائلة .. فالحياة في المجتمع الحديث، هي نسخة مُخيفة من لعبة الكراسي الموسيقية، وقد تحولت إلي واقع حقيقي، ويكمن الرهان الحقيقي في هذا السباق، في النجاة (المؤقتة) من الاستبعاد، والإدراج في صفوف الهالكين"**([٦١]) وهي الفكرة نفسها التي عالجها هيراقليطس في عبارته : **"الحرب أب الأشياء وملكها .. فجميع الأشياء تأتي لتتلاشي خلال التنازع"** . فمن يريد النجاة من هذا الوضع المضطرب، عليه أن يتدفق كما يتدفق الماء، أن يتحرك بسرعة إلي الأمام، فلا يقاوم التيار أبداً، ولا يتوقف عن الحركة؛ كي لا يصير الماء راكداً، ولا يتعلق بضفاف النهر، أو الصخور(أي

---

[٥٨] باومان، الحداثة السائلة، ص ص ٢٢/٢١ .

[٥٩] يقول إمرسون في سلسلة مقالاته الفلسفية : " **لماذا يكون علينا، ونحن المحاطون بهذه الطبيعة الخلابة، السائلة .. أن نكون ما نحن عليه من تحذلق متشدد .. ؟ لماذا نقيم وزناً للزمن، أو الشكل ؟ إن الروح لا تعرف هذه الأشياء، والعبقرية، حين تأتمر بقوانينها، تعرف كيف تتلاعب بها .. تتمعن العبقرية في الفكرة المُسببة، وتري عميقاً في الماضي السحيق لرحم الأشياء وهي تغادر المدار الواحد ثم تتشعب، قبل أن تهوي، في مدارات لا حدود لها .. فالطبيعة غيمة متحولة، تكون الشئ نفسه دائماً، ولا تكون الشئ نفسه أبداً .. ينساب الحجر الصلب في شكل لدن .. وفيما أنظر إليه يتغير في مظهره، ونسيجه، ما من شئ يشبه الشكل في تحوله .. فالطبيعة امتزاج وتكرار لا متناهيين لقوانين قليلة جدا، وهي توقع اللحن القديم المعروف، بتنويعات لا حصر لها** " =

= راجع : مقالات إمرسون الأولي والثانية، ترجمة: أمل شرقي، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص ص١٢/١٣ .

[٦٠] باومان، الحياة السائلة، ص ص٢١ / ٢٢ .

[٦١] المصدر السابق، ص ٢٤ .

المواقف، والممتلكات، والناس التي تظهر في حياتنا)، ولا يحاول، أيضاً، أن يتمسك بآرائه، أو رؤيته للعالم، بل عليه أن يتعلق، ببساطة، في خفة، وكياسة، بما يظهر في طريقه، ثم عليه أن يتركه يرحل في حال سبيله، بلطف، وسلاسة، دون أن يتشبث به ([٦٢]) أما من لا يريد اتباع هذه الطريقة في الحياة، ولا يحبون (أو لا يقدرون) علي حالة التنقل الدائم، والحركة الدائبة، فلا حظ لهم في النجاة؛ هذا لأن الممتلكات، والمواقف، والناس، سيفلتون منهم علي الدوام، وسيختفون في سرعة خاطفة، مهما فعلوا، أو مهما حاولوا إبطاء هذه السرعة ! فهذه الأخيرة هي المحك الرئيس الذي يُقاس به قدرة الإنسان علي السيطرة، والحفاظ علي البقاء . فالمجتمع الحديث، الآن، لا ينشغل إلا بما يمكن- من حيث المبدأ علي الأقل- استهلاكه، والتلذذ به في الحال، هنا والآن ([٦٣]) .

وإذا كانت **" سيولة الحياة تتغذي علي سيولة المجتمع، وتستمد طاقتها وحيويتها منها، والعكس صحيح "** كما أوضح باومان من قبل، فإن العبارة لا تعدو أن تكون صياغة معاصرة للفكرة الهيراقليطية القديمة عن الصراع بين الأشياء في هذا العالم، وما يؤدي إليه من بقاء في نهاية الأمر؛ فكل شئ **" يعيش بموت الآخر، ويموت بحياة الآخر"** . وكل الأشياء تخضع لجبرية الصراع، وعلي الإنسان أن يتحمل ما يفرضه عليه هذا الأخير من نتائج، ولعل هذا المعني هو ما قصده هيراقليطس من عبارته الغامضة : **" الزمان طفل يلعب بالنرد، والقوة**

---

[٦٢] يمكننا أن نلاحظ شيئاً من الأثر الرواقي في حديث باومان، فمن المعروف أن الرواقية قد آمنت بأن الحكيم الرواقي– والإنسان السعيد الفاضل عامة– هو من لا يتأثر بشئ، لا يحس ألماً، ولا يستشعر شجناً، ولا يعرف هماً، ولا يساور قلبه وجل، ولا أسف، ولا رجاء، هو الغني من غير مال، والملك دون مملكة، فهو غني، حر، لا يحمل للأحداث عبئاً، ولا يلقي إلي هموم الزمان بالاً، لا حاجة به إلي الأشياء، ولا رغبة له فيها، فهو كالنازح الغريب الذي لا يكترث لمدح أو ذم، أو علاقات اجتماعية دائمة (فهو لا يتعلق بالأشياء أو البشر؛ فكل شئ مؤقت بالنسبه؛ ولا يستلزم عن امتلاكه الإحساس بالفرح، ولا يؤدي فقدانه إلي الشعور بالحزن؛ وذلك لتوقع خسارته فجأة في أي وقت، إذا شاء القدر. لذلك لا يتم ربط إحساس السعادة بما يملكه الفرد من أمور خارجية مؤقتة، بل هي إحساس مُحايد إرادي، وحالة عقلية يخلقها الفرد في نفسه بنفسه، وذلك باستسلامه التام لمشيئة القدر (اللوغوس) وإيمانه بأن كل ما كُتب عليه هو الأفضل بالنسبة له، ونتيجة منطقية لتسلسل أفعاله السابقة).

– راجع : عثمان أمين: الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ص ٢٠٦/٢٠٧ .

[٦٣] باومان، الحياة السائلة، ص ٢٥–٣٠.

– Zygmunt Bauman : Time and Space Reunited (Paper), Time and Society, Sage Publications, London, 2000, PP. 178/179 .

الملكية قوة طفل " ! فالعولمة تتحول، شيئاً فشيئاً، إلي كارثة حقيقية تهدد مجتمعاتنا؛ فالأزمات المالية العالمية، وتفكك الروابط الاجتماعية، والنزعة الاستهلاكية المسيطرة حالياً علي طبيعة الإنسان الحديث، والغزو التكنولوجي، وما يترتب عليه من عبودية للتقنية، وتقييد للحريات، قد جعلت من العالم مكاناً خطراً، لا يمكن توقع ما قد يحدث فيه فجأة، فلا توجد حدود فاصلة، الآن، بين الحقيقة والخيال! (**فالأوقات المجهولة**) في حياتنا السائلة الحالية تتصف بعدم الأمان، وذلك ليس لافتقار الناس إلي الحماية؛ بل لافتقار الوضوح؛ فكل شئ، حتي البشر، أصبح بمثابة (العلامة التجارية المؤقتة) التي يتم استبدالها فجأة، لتحقيق مصلحة شخصية ([٦٤]) " **فالمظهر الأول في كل حالة يصبح المظهر الآخر، والآخر مرة أخري يصبح الأول، بنقيض مفاجئ غير متوقع"** كما قال هيراقليطس من قبل ([٦٥]) .

---

[64] –Korstanje.Maximiliano:The Beginning of Fear :a review of Ulrich Beck and Zygmunt Bauman's works (Paper), University of Palermo ،Argentina, Published in: Individual and Society ،2010 ،Vol .13 ،No .1, P. 1-4 .

- Orton.Ian Gareth: Why we Ought to Listen to Zygmunt Bauman (Paper), Presented at the BIEN Congress, Dublin, Ireland, 20th, June,2008, P.1 .

- Matera. Rafał : Zygmunt Bauman's Ethical Warnings in the Area of Economics. The Third Millennium's Perspective (paper), Annales.Ethics in Economic Life, vol.17, no.4, 2014, P.8 .

[٦٥] محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص٧١ .

- **الخاتمة :**

يمكن إيجاز أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة فى النقاط التالية :

أولاً / إن كلاً من هيراقليطس، وباومان، قد تلاقيا، رغم اختلاف عصرهما، في نقطة واحدة: ألا وهي أن التغير قانون أساسي يُدير العالم من حولنا؛ فنحن أمام حقيقة واقعة لا يمكن تجاهلها، وهي أن الأحوال تتداول، والقوانين تتغير، والسكون أمر مُحال؛ خاصة في ظل الواقع التكنولوجي الحالي، والتقدم العلمي الملحوظ في شتي المجالات . فالسيولة قد فرضت (العمر القصير) علي الأشياء، والأفكار؛ والقوانين؛ بحيث أصبح من الصعب وضع الأطر المنهجية طويلة المدي، التي تجعل الإنسان قادراً علي وضع استراتيجيات متسقة، ومتماسكة، تجعل الحياة مشروعاً مستقراً، أقل تعقيداً، وأكثر فائدةً .

ثانياً/ هناك علاقة متبادلة بين الإنسان والعالم من حوله؛ فبين كل منهما علاقة تأثير وتأثر؛ فتارة يتغير الإنسان، ويغير العالم؛ أملاً في تحقيق هدف معين، أو تجاوز موقف ما، وتاره يُغيره العالم إلي إنسان آخر، بطبيعة مختلفة . فالإنسان جزء من هذا العالم، يحكمه (لوغوس) التغير، ويجعل من طبيعته (نهر مستمر التدفق)، يتأرجح بين ضفتين: شغف التغيير من ناحية، ومواجهة المجهول من ناحية أخري ! فالحياة السائلة الحالية، قد فرضت علي الإنسان الاستغراق في اللحظة الراهنة، ثم مواجهة الخوف الحقيقي من فقدان كل شئ دفعة واحدة .

ثالثاً/ كل من هيراقليطس، وباومان، لم يتناولا مسألة التغير بصورة ميتافيزيقية بحتة؛ بل بصورة واقعية تناسبت مع عصر كل منهما؛ فلقد تناول هيراقليطس مبدأ التغير من حيث الطبيعة، والمعرفة، والنفس الإنسانية، والنزعة الدينية، والأخلاقية؛ فأصبح القول بالتغير لا يعبر عن مسألة فردية ينتهي البحث فيها بإقرار حقيقة التغير فقط؛ بل يتجاوز الأمر ليجمع بين الوعي الإنساني، والمبدأ الكلي، والموضوع (العالم)، في وحدة واحدة . أما باومان، فقد قدم معالجته للحداثة السائلة، بإسلوب فلسفي يبرره الواقع بصورة منطقية؛ فالقارئ أثناء قرائته لسلسلة السيولة، لا يبتعد بفكره النظري عن واقعه المُعاش بالفعل؛ بل يمكنه، خلال استعراض الكثير من الأمثلة المُقدمة، أن يتعقب الأفكار، نفسها، في مجتمعه، وأسرته، وطبيعته هو أيضاً، بحيث يمكن القول: إن مصطلح (السيولة) في صورته الواقعية الحالية، يمكن أن يُطلق علي معانٍ عقلية، أو أحداث فيزيقية، أو نفسية، بالمعني الواسع للكلمة .

رابعاً/ إن الحداثة حالة عقلية قبل كل شئ؛ فلا يمكن قصرها علي زمن بعينه، أو فترة تاريخية مُحددة؛ فهي تمثل شغف الإنسان الدائم في تغيير العالم من حوله . وعلي الرغم من أن مهمة الحداثة، منذ بدايات الفكر الإنساني، قد تمثلت في إطلاق حرية التحقق، والاختيار، واكتشاف العالم، والقدرة علي التنبؤ، والتحكم في المستقبل بقدر الإمكان؛ أملاً في السيطرة علي الطبيعة يوما ما بالعلم والتقنية، علي الرغم من كل هذا، فإن إنسان هذا العصر قد وجد نفسه في وضع لم يكن في الحسبان؛ فالتقاليد القديمة لم تنته، والأفكار الحديثة لم تفرض سيطرتها تماما؛ بل تم المزج بين القديم والحديث، فلا القديم تلاشي، ولا الحديث استقر، وبقي الإنسان وسط أنواء وارتباكات الحياة السائلة، التي تتطلب القدرة علي المراوغة، رغبةً في البحث عن ثوابت منطقية، تواجه الميوعة الحالية .

خامساً/ كيف يمكننا النجاة من أخطار السيولة الحالية ؟ كيف يمكن لإنسان العصر الحالي، أن يحقق قدراً من الاستقرار، وهو يحيا فوق سطح فوضي الميوعة، وسط غياب المعاني المضمونة، والحقائق المُثبتة ؟

إذا كان وعد الحداثة تعزيز الاستقلال والحرية الإنسانية، فإن مهمة إنسان العصر الحالي تتمثل في محاولة التصدي للميوعة الحالية، من أجل تمهيد الطريق إلي مجتمع مستقر بمعني الكلمة، وهذا التصدي يتمثل، بصورة واقعية، في الجمع بين أمرين: تحمل المسئولية من ناحية، وذلك بالاعتراف بهذا الوضع، ومواجهة عواقبه دون تردد، والبحث عن مأوي آمن، يضمن النجاة من فوضي السيولة العارمة من ناحية أخري . فعلي الإنسان مقاومة اللايقين المزمن الذي يعانيه الوضع الإنساني الحالي، وذلك بالتمسك بالقيم الدينية المقدسة، والقواعد الأخلاقية السامية، التي تكفل للإنسان الشعور بالطمأنينة، واليقين، مع الأخذ في الاعتبار، أن الكشف عن المتناقضات لا يُغني عن حلها، فلابد من تحمل مسئولية الاختيار التي يواجهه الإنسان كل يوم، ولابد من التحقق من أن تلك الاختيارات تحظي بالمرجعية الدينية والأخلاقية، فتلك المرجعية الأصيلة، باقية ما بقيت البشرية .

المصادر والمراجع

أولا / المصادر :

- **المصادر الأجنبية :**

1-Hegel.G.W : Lectures on The History Of Philosophy, Translated from German by: Haldane.E.S, V.1, Kegan Paul, Trench, Trubner and CO., LTD., 1892.

2-Zygmunt Bauman : Culture and Management (Paper), parallax, vol,10, no.2, Routledge, Taylor and Francis Ltd, London, 2004.

3- ———————— : Time and Space Reunited (Paper), Time and Society, Sage Publications, London, 2000.

4- ———————— : Identity in the Globalizing World (Paper), European Association of Social Anthropologists, Vol.9, June 2001.

5-Zygmunt Bauman, Leonidas Donskis : Moral Blindness, Polity Press, Cambridge, 2013.

- **المصادر الأجنبية المترجمة :**

١- إمرسون .رالف والدو : مقالات إمرسون الأولي والثانية، ترجمة: أمل شرقي، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.

٢- باومان . زيجمونت : الحداثة السائلة، ترجمة : حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٦.

٣- ———————— : الأزمنة السائلة (العيش في زمن اللايقين)، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٧.

٤- ———————— : الخوف السائل، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٧.

٥- ———————— : الحياة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٦.

٦- رسل. برتراند : تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول (الفلسفة القديمة)، ترجمة: زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.
٧- رسل. برتراند : حكمة الغرب، الجزء الأول، ترجمة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد(٦٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣.

٨- اللآئرتي . ديوجينس : حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: محمد حمدي إبراهيم، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤ .

ثانياً / المراجع :

المراجع العربية :

١- أحمد فؤاد الأهواني : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥ .

٢- أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية أنواعها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨ .

٣- جعفر آل يس : فلاسفة يونانيون، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١٢ .

٤- حربي عباس عطيتو : ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.
٥- عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني، مركز عبد الرحمن بدوي للإبداع، القاهرة، ٢٠١٠.

٦- عبد الغفار مكاوي: نداء الحقيقة (مع ثلاث نصوص عن الحقيقة لهايدجر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.

٧- عثمان أمين: الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١.

٨- عزت قرني : الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون ، ذات السلاسل ، الكويت، ١٩٩٣.
٩- ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلي أفلوطين وبرقلس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١.

١٠- محمد الخطيب : الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩ .
١١- محمد سبيلا : مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

١٢- محمد عبد الرحمن مرحباً : تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتي المرحلة الهللينستية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

١٣- محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة اليونانية)، دار الجامعات المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٣.

١٣- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.م)، ١٩٢٦.

المراجع الأجنبية المترجمة :

١- آرمسترونج . أ.ه : مدخل إلي الفلسفة القديمة، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي الغربي، بيروت، ٢٠٠٩.

٢- بامبرا.جيرميندر.ك : إعادة التفكير في الحداثة (نزعة ما بعد الاستعمار والخيال السوسيولوجي)، ترجمة: ابتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦ .

٣- برهييه. إميل : تاريخ الفلسفة، الجزء الأول (الفلسفة اليونانية)، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٤- ستيس. وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.

٥- كرانستون. موريس : سارتر بين الفلسفة والأدب، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.

٦- كوبلستون . ف : تاريخ الفلسفة، الجزء الأول (اليونان و روما)، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ .

المراجع الأجنبية :

1- Appleton,R.B : The Elements of Greek Philosophy, Methuen and CO. LTD., London, 1922.

2- Burnet.J : Greek Philosophy, Part.1 (from Thales to Plato), Macmillan and CO., Limited., London , 1928.

3- Hankinson.R.J : Cause and Explanation in Ancient Greek Thought , University of Texas, Austin, 1997.

4- Misch.G : The Down of Philosophy, Edited in English: Hull.R.F.G, Routledge, London and NewYork, 1950.

5- Nahm.M.C (ed) : Selections From Early Greek Philosophy, Appleton .Century Crofts Inc., NewYork, 3th.ed, 1947

6- Scoon,R : Greek philosophy Before Plato, Princeton University Press, .Princeton, 1927

7- Stace.W.T: A Critical History of Greek Philosophy, Robert Maclehose and CO. LTD, London, 1920.

8- Wheelwright.Philip : Heraclitus, Princeton University Press, Princeton, 1959.

ثالثا/ المقالات الأجنبية:

1- Atunde .S.J : Heraclitean Flux as a Philosophy of Social Change (Article): International Journal of Humanities and Social Science Invention ISSN (Online), V.3, 2014.

2-Baloyannis.J.S: The philosophy of Heraclitus today (Paper), Published in: Encephalos,V.50, 2013.

3-Betegh.G : On the physical aspect of Heraclitus' psychology (Paper), Published in: Phronesis 52, 2007 .

4-De Laguna. Theodore : The Importance of Heraclitus (Article): Published by: Duke University Press, The Philosophical Review, V.30, .No.3, 1921

5-English.R.B : Heraclitus and the Soul (Article), Transactions and Proceedings of the American Philological Association, V.44, Published by: The Johns Hopkins University Press, 1913.

6-Gane.Nicholas : Zygmunt Bauman, Liquid Modernity and Beyond (Paper), Published in: ACTA Sociologia, 2001

7-Gorgiev.S.R : The Relationship of the soul and the Logos in Heraclitus's Fragments (Article), Published in : Philosophy, Sociology, Psychology and History, V.8, No.1, 2009.

Ulrich of A review :Fear of Beginning 8-Korstanje.Maximiliano:The Palermo, of s works (Paper), University'Bauman Zygmunt and Beck 1, 2010 . .No ،13 .Vol ،Society and Argentina, Published in: Individual

9-Lee.Raymond(L.M): Bauman, Liquid, Modernity and Dilemmas of Development (Paper), Sage Publications, London, 2005.

10-Matera. Rafał : Zygmunt Bauman's Ethical Warnings in the Area of Economics. The Third Millennium's Perspective (paper), Annales.Ethics in Economic Life, vol.17, no.4, 2014.

11-Orton.Ian Gareth: Why we Ought to Listen to Zygmunt Bauman (Paper), Presented at the BIEN Congress, Dublin, Ireland, 20th, .June,2008

A Further Study of Heraclitus (Article), The American 12-Patrick.G.T.W: Journal of Psychology, V.1, No.4, 1888.

13-Smith.I.Constance : Heraclitus and Fire (Article), Journal of the History of Ideas, Vol.27, No.1, Published by: University of Pennsylvania Press, 1966.

رابعاً / المعاجم والموسوعات :

المعاجم العربية :

إبراهيم مدكور : المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ، ١٩٨٣.

جميل صليبا : المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٤- مراد وهبة : المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

الموسوعات الأجنبية المترجمة :

لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ٢٠٠١.

الموسوعات الأجنبية :

1-Long.(A.A) : Heraclitus (c.540-c.480 BC), Published in : Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London and NewYork , 1998.

2-Mckirahan.R : Presocratic Philosophy (Article), Published in: The Blackwell Guide to Ancient Philosophy, Edited by: Shields. Christopher, Blackwell Publishing, U.S.A, 2006.

3-The Concise Encyclopedia of Western Philosophy, Edited by: Ree.J and Urmson.J.o, Routledge, London and NewYork, 3th.ed, 2005 .